
لا انحبك
لا نصبر عليك
تناقضات الرجل التونسي والمرأة التونسية
طاهر الغراد

عنوان الكتاب

لا نحبّك لا نصبر عليك

تناقضات الرجل التونسي والمرأة التونسية

بقلم: الطاهر الغرّاد

الإهداء

إلى أبناء هذا الوطن، الذين ما زالوا يحاولون أن يحبوا
،رغم كل شيء

.ويصمدوا في وجه العتمة، بحثًا عن النور

،إلى كلّ رجلٍ طيب لم يُمنح فرصة أن يكون نفسه

.وإلى كلّ امرأة شجاعة حُملت أحلام التغيير وحدها

،إليكما... هذا الحبر، وهذا القلب وهذه الكلمات

،وُلدت من رجاءٍ لا ينطفئ

بأن الحبّ، والوعي، والنور.. ما زالوا ممكنين

فهرس الكتاب

العودة إلى الغلاف ⬅

مقدمة الكتاب

هو يطلب الحنين ويهرب منه،وهي تبحث عن الأمان وتحاربه.بين قلبٍ يريد لكنه لا يعرف كيف يُحب،وقلبٍ يُحب لكنه سئم أن يُعلّم الحبّ...تنشأ الحكاية.

هذه ليست رواية، ولا دراسة اجتماعية صارمة.إنها مرآة مكسورة، تعكس بعضًا من التناقضات اليومية التي نعيشها نحنالتوانسة؛نُحبّ باندفاع، ونخاف الالتزام،نحلم بالاحتواء، ثم نهدمه بأيدينا.

هذا الكتاب محاولة لفهم الرجل التونسي كما تراه المرأة،وفهم المرأة التونسية كما لا يراها الرجل.حكايات صغيرة، تأملات، واعترافات،عن الحب، والخذلان، والوجع المُتبادل.

قد لا نصل إلى إجابات،لكننا نفتح النوافذ،على الأقل... ليدخل بعض الهواء

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الأول: المرايا المشروخة

كلّ واحد منهما يمشي وفي يده مرآة... لكنها مرآة مشروخة.هو يرى فيها امرأةً متطلبة، كثيرة الشكوى، تبحثعن مالا وجود له.وهي ترى فيه رجلًا باردًا، غامضًا، يخشى مشاعره أكثر مما يخشى الفشل.

لكلّ منهما تصوّر مسبق، مبنيّ على خيبات متراكمة، ونصائح غير مكتملة من أصدقاء حائرين، وأمهات خائفات، وآباء لم يتكلموا أبدًا عن الحب.

المرأة التونسية تقول: "الرجال الكل كيفكيف".والرجل التونسي يقول: "ماثماشوحدة ترضى، ديما ناقصة حاجة."

لكن لا أحد يسأل: لماذا وصلنا إلى هنا؟هل نحن فعلًا هكذا؟ أم أننا نلبس أقنعة لا تشبهنا، فقط لنحمي أنفسنا من خيبة جديدة؟

في البداية، كل شيء يبدو جميلًا:هو يُظهر لطفًا وشهامة.وهي تُظهر رقة واحتواء.لكن خلف كل تصرّف، حسابات غير منطوقة:هل سيفهمني؟ هل تستحق أن أفتح قلبي؟هل تُحبني كما أنا؟ أم كما تتخيلني؟

شيئًا فشيئًا، تتكسر المرآة أكثر...وتبدأ الحقيقة في الظهور، لا كوجه واضح، بل كصورة مشوشة لا أحد يريد أن يعترف بها.

ربما كل واحد منهما يبحث عن نسخة مُحسّنة من نفسه، في الآخر.وربما المشكلة ليست في الحب... بل في الشروط التي وضعناها له دون أن نعلم

وربمالأننا نخاف من أن نُحبّ من لا نستطيع امتلاكه.

في غرفةٍ لا نوافذ لها، اسمهاغرفة المرايا المشروخة، جلستنرجسقبالةسليم.المكان مألوف حدّ الخوف، غريب حدّ الحنين، يشبه بيتًا قديمًا عُلّقت على جدرانه وجوه لا تعود لأصحابها.الساعة تشير إلىالخامسة والعشرين من الغُربة، حيث لا وقت محدد للقاء، ولا زمن دقيق للفُراق.

كانت نرجس تتحدث وكأنها تقشر جلدها حرفًا، وسليم يصمت وكأنه يدفن الكلمات في صدره كي لا تنفجر.لا أحد يسمع الآخر تمامًا، لأن كلًّا منهما يرى الآخر من خلال مرآته المكسورة...مرآةٌ لا تعكس الواقع، بل تشوهه بما يكفي ليتحوّل الحبّ إلى محاكمة،

والبوح إلى لُغز، والسكوتِ إلى صرخة مؤجلة.

هذه ليست قصة حبّ، بل مرآة لمجتمعنا،حيث

يقولسليم: "أريدها كما أُريد، لا كما تكون"

وتقولنرجس: "أريده أن يحبني، لكني لن أكون أبدًا شيئًا يُختار لي أو يُفرض عليَّ؛ نعم، أنا عنيدة؛"

في هذا التوتر بين الرغبة والوجود، بين السيطرة والأنحاء، تبدأ القصة...

نرجس: لماذا لا تفهمني؟

سليم: لأنكِ تغيّرين ملامحكِ كل يوم.

نرجس: أنا لا أتغيّر، أنا فقط أتكشف.

سليم: والتكشف يخيفني... يجعلني أشعر أنني لا أعرفك.

نرجس: بل أنت لا تريد أن تعرفني. تريد نسخة مريحة من امرأة، لا امرأة حقيقية.

سليم: وأنتِ، تريدين منّي أن أكون بطلكِ الخيالي، وتغضبين حين أكون إنسانًا.

نرجس: لا أريد بطلاً، أريد رجلًا لا يهرب منّي حين أكون ضعيفة.

سليم: وأنا لا أريد امرأة تحاسبني على كل سكوت... وكأنني مطالب بأن أتكلم بلغة قلبك.

نرجس: لأنني تعبت من الترجمة!

سليم: وأنا تعبت من المحاكمة...

يصمتان... المرايا تتشقق أكثر.

نرجس: هل ترى؟ حتى صمتنا صار مليئًا بالكلام المؤلم.

سليم: وربما، في مرآتكِ، كنت دائمًا الجاني

عندما ابتعدا، لم تكن المسافة بين جسدين.كانت بين صورتين... كلٌ منهما ظلّ يرى الآخر من خلال مرآته المشروخة.

هي قالت: "لم يكن صادقًا".وهو قال: "لم تكن حقيقية".

والمرايا بقيت هناك، مكسورة، تعكس صورًا باهتة لكل من مرّ بعدها،كأن الحبّ في هذا المكان لا يُولد من جديد،بل يعيد نفسه... بخدوشٍ أعمق في كل مرة.

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الثاني: الحب في زمن التغيير

في تونس، الحبّ ماعادشيشبه الحكايات القديمة.لا الوردة الحمراء تعني ما كانت تعنيه،ولا كلمة "نحبّك" تكفي لتفتح قلبًا.

العلاقات صارت مثل قهوة سريعة الذوبان:دافئة أولها... ومرة في آخرها.والأغلب يشربها رغم المرارة، فقط لأنه تعوّد.

هي تقول:"ماعادشنصدق، الكهم كيما بعضهم: في الأول كلام، وبعدها اختفاء."

وهو يقول:"تحبّك ديما تفسر، وديما مش راضية، وديما تحب حاجة ماقلتهاش!"

صار الحبّ لعبة مفاهيم،ومحاولة دائمة لقراءة ما وراء الكلمات:"قالي صباح الخير، أما ماحطشقلب.""ردّت بعد ساعتين، تحبّ تذلني؟""عملتليقصةفيالستوري، أكيد تقصدني!""ماعنديشطاقةنشرحليأنا نحبّككيفاش."

حتى الحب صارمُتعب بالتفاصيل،وكأننا دخلنا في سباق نفسي:من يحب أكثر؟من ينسحب أول؟من يعتذر؟ومن يُعاقِب بالصمت؟

لكن في الحقيقة، خلف كل هذه الحوارات الصغيرة،يوجد قلبان خائفان،واحد يخشى أن يعطي كثيرًا...وآخر تعوّد أن يؤخذ منه كل شيء دون مقابل.

"فيزمن التغيير، ما عاد السؤال:من يُحب؟بل: من يبقىبعد أن يسقط الوهم؟

صرنا نبحث عن حبّ يُشبهنا...

نموذج: حكاية "آمنة" و"سيف

آمنة وسيف تعرفوا على بعضهم في معرض كتاب.هي كانت تفتّش على رواية،وهو كان يفتّش... عنها.

بدأت الحكاية برسالة على إنستغرام:"عسلامة، نحب نكملك الحكاية اللي ماقلتيهاشوقتها."ضحكت، وردّت، وبدأوا يتكلموا كل يوم.

كانت تحب صوته، هدوءه، طريقته في الإنصات.وكان ينبهربكيفاشتفكّر، وكيف تتحمس وهي تحكي.

قالها:"عمري ما حسّيت بروحي مفهوم كيما معاك."

قالتله:"أنا ما نحبش نحلمبرشا، أمانرتاحلك."

مرّت الأسابيع...صار يردّ أقل.يغيب بالساعات.وهي تتظاهر أنها مالاحظتش،لكن قلبها يحفظ التوقيت.

سألته:"تغيّرت؟"

قالها:"لا،انتيحسّاسةبرشا."

وفي ليلة بلا مقدمات، كتبلها:"ما نحبش نظلمك، يمكن مانعرفشنحب بالطريقة اللي تستحقها."

بكيت، ومسحت دموعها،وماردّتش.

لكنها من يومها، كل ما تدخل مكتبة،تتجنب قسم الروايات،وكأن الذكرى مربوطة بعنوان على الرف.

تأمّل

الحبّ في تونس اليوم، موش ناقص مشاعر...هو ناقص نضج، وصبر، وصدق فيالنوايا.

أصبحنا نحبّ بسرعة،وننسحب أسرع،كأننا نخاف نُحب بصدق، أكثر من خوفنا نُخذل.

كلّ واحد فينا يحمل داخله قصصًا لم تكتمل،وأسئلة لم تجد إجابات،وجروحًا يتظاهر أنها التأمت... لكنها ترتعش عند أوّل اهتمام.

ولأننا نُحبّ بلغة مُتعبة، ونخاف بلغة صامتة،تضيع في الطريق أجمل الحكايات،ويتحوّل الحنين إلى درس،والدرس إلى قناع جديد نلبسه في العلاقة التالية.

ربما ما نحتاجه ليس حبًا جديدًا،بل ترجمة حقيقية لما نشعر به...كي لا نُضطر أن نحبّ بعضنا بالعمياء

حب بلا بوصلة، بلا خريطة، بلا وضوح....

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الثالث: الرجولة المطلوبة

قالوا له منذ صغره:

"لا تبكِي، الرجال لا ينهارون."

"تحمّل، ما يوجعك!"

"كن قويًا، وإلا لن تُحسب رجلاً."

فكَبرَ وهو يحفر داخله قبورًا لمشاعره.ابتسم حين أراد أن يصرخ،وصمت حين كان قلبه ينهار

.

أحبّ، لكن لم يقل.اشتاق، لكنه تجاهل.احتاج، لكنه خجل أن يُظهر ضعفه.

كلما أراد أن يكون إنسانًا،ذَكّروه أنه يجب أن يكون "رَجُلاً"...لكن لم يقل له أحد:ما معنى أن تكون رجلًا، دون أن تفقد إنسانيتك؟

كن رجلًا."جملة تتكرر كأنها مفتاح الحياة... لكنها في الحقيقة، قيدٌ خفيّ.

الرجل التونسي يعيش بين مطرقتين:صورةالرجولة التقليدية، كما يريدها المجتمع،وصوت داخلييريد فقط أن يكونإنسانًا... يُخطئ، يخاف، يحتاج، ويُحب دون أن يُسأل:"شنوةصايرلك؟علاشضعفت؟"

في البيت، يُنتظر منه أن يكون السند.في الشارع،أن لايُحرج.في الحب، أن يكون الصخرة الصلبة... والعاشق في نفس الوقت.وفي الزواج، أن يكون العائل، الواعي، الحنون، الصبور، غير الغيور، ولكن الغيور شويّة...مزيجٌ مستحيل

كأنه مطلوب منه أن يكونسوبرمان بمشاعر شاعر!

لكن الحقيقة؟هو نفسه ضائع بين ما يُريده، وما يُفترض أن يكونه.يريد أن يُحبّ بحرية، لكن يخاف أن يُستغل.يريد أن يُفتح، لكن تربيته قالت له: "الرجال مايحكيوشبرشا."يريد حضنًا، لكن المجتمع يُلقنه أن الطلب ضعف.

وهنا تبدأ التناقضات.تراه يضحك، لكن عينه خاوية.يبدو واثقًا، لكن داخله ينهار في صمت.يتعامل ببرود، فقط كي لا يُكشف كم هو هشّ حين يُحب.

وفي لحظة حب حقيقية، حين تضعه امرأة أمام قلبها،لا يعرف ماذا يفعل:هل يهرب؟أم يبقى؟هل يُصدق أنها لن تُحاسبه على كسوره؟أم يخاف أن تُحمّله مسؤولية ترميمها؟

الرجولة المطلوبة ليست دائمًا ما نعتقده.الرجولة الحقيقية تبدأ من الجرأة على الاعتراف:

"أنا لستُ كاملًا، لكنني حقيقي."

"موقف واقعي – "حكايته مع ريم

مروان، شاب في أوائل الثلاثينات، مستقرّ مهنيًا، محبوب في وسطه، لكن كل علاقاته تنتهي فجأة.ريم، فتاة بسيطة، رقيقة الروح، دخلت حياته من باب الصدفة... رسالة على فيسبوك، ضحكة في مقهى، وبدأت الحكاية.

في البداية، أدهشته:كانت صريحة، ذكية، وفيها نوع من الحنان لم يعتده.قال لصديقه:"تحسها تفهمك من غير ما تشرح، وديما تسأل: شبيك؟ من غير ما نطلب."

لكن كلما اقتربت، انسحب.كلما فتحت له بابًا نحو الدفء، أقفل بابًا في وجهها.وحين سألته:علاه ماعا دشتحكيلي على روحك؟"ردّ وهو يتهرّب:"أنا ما نحبش نكثر كلام... خوفتك؟"

في الحقيقة، كان خائفًا منها، لا عليها.خائف أن تراه كما لم يُرَ من قبل،أن تلمس الطفل اللي داخله...اللي تعلّم يصمت وقت يوجع، ويضحك وقت يختنق.

انتهت العلاقة دون سبب واضح،مجرد برود متبادل ثم اختفاء.وهو...لا زال يُفكر فيها كلما رأى امرأة تشبه حنانها،لكن لا يقترب.

تأمّل

الرجل التونسي، مثل كثيرين غيره،يريد أن يُحب ويُحَب...لكن تربيته علّمته أن يُخفي، لا أن يُفصح.أن يُنكر الحاجة، لا أن يطلبها

.

نشأ وهو يربط الرجولة بالصمت، بالقوة، بالتحمل،فنسي كيف يكون ضعيفًا دون أن يشعر بالخجل.نسي أن الرجولة الحقيقية لا تُقاس بعدد المرات التي لم يبكِ فيها،بل بالمرات التي تجرأ فيها على قول:"أنا موجوع... وأنا أحتاجك."

الرجولة ليست درعًا يُخفي القلب،بل قلبًا يعرف متى يَسند،ومتى يحتاج من يُسنده.

ولعلّ الرجل لا يحتاج أن يكون خارقًا...بل أن يُعطى الحق في أن يكون إنسانًا،بكل التناقضات التي يحملها،وبكل الصدق الذي يخبئه خلف صمته الطويل.

قصة قصيرة – "سامي والمرايا المكسورة"

سامي، في منتصف الثلاثينات، يعيش في حي راقي في تونس العاصمة.يبدو في الظاهر مثالًا للرجل الذي يسير وفقًا للمُتَوقع:يعمل أستاذا، متزوج، يملك طفلين.لكنه يعيش في صمت رهيب.

تزوجنادية، فتاة من عائلة محترمة.أحبّها، لكن مع مرور الوقت، بدأ يشعر وكأن هناك حاجزًا غير مرئي بينهما.نادية تحبه، لكن ربما تحب الصورة التي تراها فيه أكثر من حقيقته.في البداية، كان يحب أن يُظهر قوتها أمام الجميع،لكن مع الوقت، بدأت القسوة تظهر:"أنت مش قد الكلام...علاه دايمًا متردد؟"

ساميلم يكن ضعيفًا، بل كان يحاول أن يُظهر لها الحب بطرق أخرى.لكن، المجتمع يطالبه بأن يكون الرجل الذي لا يُخطئ،الذي لا يضعف أبدًا، الذي لا يظهر مشاعر الخوف أو القلق.كلما احتاج إلى لحظة ضعف، وجد نفسه يضطر لإخفائها تحت قناع "القوة".

هو لا يعرف كيف يُعبّر عن قلقه عندما يُواجه مشكلة في العمل،ولا يعرف كيف يطلب

المساعدة عندما يشعر بأنه لا يستطيع مجاراة الضغوط.يخاف أن يُفهم على أنه "ضعيف" في نظرها، أو في نظر عائلته.وفي كل مرة يدخل فيها غرفة النوم،يشعر كأن عليه أن يكون البطل، الذي ينقذ اليوم ويمنح الأمان.

في أحد الأيام، وفي لحظة صمت طويلة بعد مشاجرة معنادية،نظر في المرآة ورأى نفسه لأول مرة بوضوح:شخص يحاول أن يلبس ثوب الرجولة كما يُطلب منه،لكن قلبه ينبض بشيء مختلف، نبض من الخوف، من الضعف، من الإنسانية التي لا يستطيع التعبير عنها.قرر في تلك اللحظة أن يواجه نفسه.هل هو فعلاً الرجل الذي يريد أن يكونه؟أم أنه ضحية لصورة الرجل الذي "يجب أن يكون"؟

تأمل

الرجل التونسي، مثل سامي،يعيش في دائرة لا نهاية لها من التوقعات والضغوط.هو مطالب أن يكون قويًا، لكن دون أن يُسمح له بأن يضعف.يُتوقع منه أن يكون سندًا للجميع، لكن لا أحد يُسند له في لحظات ضعفه.الرجولة التي يُتوقع منه أن يحملها ليست حقيقية دائمًا،بل هي صورة مشوّهة وضعها المجتمع في ذهنه

.

أحيانًا، كل ما يحتاجه الرجل هو أن يُسمح له بأن يكون إنسانًا،أن يعبّر عن مشاعره دون أن يُقابل بالاتهام.أن يُترك ليعيش في الحلم الذي يخشى من تحقيقه،أن يُعطى فرصة ليُخطئ، ثم يُسَمَح له بالتصحيح.أن يكون هو نفسه، دون قيود، دون قوالب جاهزة تُفرض عليه

الرجولة الحقيقيةليست في أن تكونبلا مشاعر،بل في أن تكون قويًا بما يكفي لتكون ضعيفًا عندما تحتاج إلى ذلك،وأن تكون شجاعًا بما يكفي لتُظهر الجانب الإنساني بداخلك،بدون خوف من اللوم أو الاستهزاء.

قصة "ناجح وأمل" – حلم ضائع في بحر الأمل

ناجح، شاب من عائلة متوسطة في تونس، نشأ على قيم الاجتهاد والطموح.كان لا يعرف المستحيل في دراسته.كل عام كان يتصدر القائمة في صفه، الأول دائمًا، الأول فيالبكالوريا، ثم حصل علىماجستير في الهندسة، تلاهدكتوراهجعلت منه أحد أذكى الشباب في تخصصه.لكن رغم دراسته الأكاديمية العالية، وكان معترفًا به في مجال تخصصه، لم يكن هناك مكان له في السوق التوظيفي التونسي.

ناجحكان كل شيء يُتوقع منه ليكون "الناجح" في عيون الجميع:منضبط، يحترم التقاليد، لا يذهب إلى المقاهي ولا السهرات.كان مثل الوردة النقية في عالم مليء بالضباب.الجميع يحبه: أهله، جيرانه، وأصدقاؤه، وكل من حوله. كان الإنسان الذي لا يمكن للآخرين إلا أن يثقوا به ويحترموه.

بينما كانناجحيواصل سعيه لتحقيق حلمه، كانت هناك فتاة اسمهاأمل،تحبه كما يحبها. كانتأملأملقلبه، وكان يعبر لها عن أحلامه في الحياة التي كان يراها في عينيها.لكن في عالم يسوده الظلم، حيث لا تُحسب الكفاءات بقدر ما يُنظر إلى العلاقات والواسطة،فإن حلمناجحبالبقاء في وطنه بدأ يتلاشى مع مرور الوقت.

رغم اجتيازه العديد منالامتحاناتللانتداب في الوظيفة، ورغم تحصيله العلمي الرفيع،إلا أنناجحكان دائمًا يُصاب بالفشل بسبب المحسوبية والواسطة التي تكاد تخنق الفرص في تونس.ولكنه صمد، معتمداً علىأمل، التي كانت تُدير له ظهرها، وتُعطيه القوة للاستمرار في السعي.لكن الزمن لا يرحم، وحين تمر السنوات وتزداد الضغوط، لم يعد بإمكانأملأن تظل وفية لتلك الوعود.ضغوط عائلتها وتقدم سنها جعلها تُضطر إلى أن تتزوجشخصًا آخر،رجل موظف، يعيش في حيهم، قد لا يحمل الكثير من الأحلام، ولكن لديه فرصة حقيقية في العمل والاستقرار.

في يوم الزفاف، وقفناجحمن بعيد، ينظر إليها وهي تبتسم في فستانها الأبيض.كل شيء كان مُتلألئًا من حولها، كل شيء كان جميلًا، عدا قلبه الذي انكسر في تلك اللحظة.كان يبكي بحرقة، بحرقة عظيمة، كانت دموعه أغلى من كل ما يملك في تلك اللحظة.لقد فقد الأمل، فقد الحلم، فقد نفسه في هذا العالم الذي لا يُقدّر الجهد ولا يُنصف العقول الطموحة.

لم يكن قد قرر بعد ماذا سيفعل بحياته، لكنه شعر في أعماقه أن شيئًا ما قد انتهى.في تلك اللحظة، شعر ببرودة في قلبه، وكأن الدنيا قد أغلقت أبوابها أمامه، وأصبحناجحمجرد ظل إنسان، لا يستطيع أن يحدد وجهته.

أخذ قراره أخيرًا: الهروب.الهروب من الواقع الذي سلب منه أكثر من مجرد قلبه، سلب منهأمله في الحياة

ذهب ناجح الى أحد أصدقائه كما يذهب الغريق لقشة، يحمل في يده بقايا حلم، وفي عينيه رجاءً مكسورًا صوته كان مبحوحًا، وقلبه يرتجف بين أملٍ يتعلّق به وخذلانٍ ينهش أطرافه..

قال بصوت يكاد لا يُسمع:"راني تعبت... نحب نهرب، نحب نعيش... حتى لو كانت الحياة غريبة."

كان يتحدث كما لو أنه يطلب النجاة لا المال.لكن الرجل، الذي كان يومًا ما يُسمّى صديقًا،نظر إليه طويلًا... ثم ابتسم.تلك الابتسامة...فيها شيء من الشفقة، وكثير من الجشع.

قال:"المبلغ اللي عندك؟ما يجيب لكش حتى تذكرة حلم.باش تخرج من تونس وتلقى بداية،يلزمك عشرة أضعاف.راهي الحياة البرّة ما هيش لعبة،وماشي بالرخيص.وإلاّ تبقى... وتواجه قدرك وحدك!"

في تلك اللحظة، لم يشعر ناجح بالفقر فقط،بل بالخيانة أيضًا.كان يتوق لباب يُفتح،لكن وجد من يطلب ثمن المفتاح.

خرج وهو يتمتم في قلبه:"حتى اللي وعدني بالباب... باع المفتاح."

كانناجحيقف في الشاطئ، وهو يشعربالخذلانينهش قلبه.شعر أن كل أبواب الحياة قد أُغلقت في وجهه. لم يعد يعلم ماذا يفعل، كيف يمكنه الهروب من هذا الألم؟كيف يمكنه الهروب من الواقع الذي سلب منه كل شيء؟

لكن بعد لحظات من الحيرة، خطرت له فكرة."لن أحتاج إلى مساعدته. لن أحتاج إلى هذا المبلغ الكبير."

نظرت عيناه إلى البحر، وأمواج البحر التي كان دائمًا يراها على بُعد، كان البحر بالنسبة له صورة أمل جديد."سأذهب وحدي."كانت هذه الفكرة هي التي دفعته للتحرك.

سارعناجحإلىالقاربالمهجور، الذي كان يطفو في وسط البحر.لم يكن يعرف شيئًا عن الإبحار أو كيفية توجيه القارب، لكنه كان يشعر بغضب وحزن شديدين،كان في تلك اللحظة يرى في البحر منفذًا، منفذًا لهروبه من واقع لا يُطاق.

دفعه الألم، دفعهالقهرمن حياته التي سلبها منه المجتمع، منالظلمالذي عاشه لسنوات،كان يصرخ في داخله، لكنه لم يُسمع.أخذ القارب، وأطلق نفسه في البحر، كما لو كان يهرب من كل شيء.

وما إن ابتعد عن الشاطئ، حتى بدأت الرياح تعصف به.ظن للحظة أنه ربما يكون قد وجد حريته في البحر، في العدم، في الفراغ.لكن فجأة، هبت عاصفة هائجة، وأمواج البحرتتقاذفهكما لو كانت ترفض أن يكون له مكان هنا.أخذ القارب في كل الاتجاهات، والريح تعوي بصوتٍ مدوٍ.

ناجححاول بكل ما تبقى من قوته أن يوجه القارب بعيدًا عن الأمواج العاتية،لكن البحر

كان أقوى، كان غير مُرحب بأي حلم، وأي أمل، وأي محاولة للهروب.

وفي لحظةٍ واحدة، ابتلعته الأمواج العاتية،وغرقناجحفي أعماق البحر.غرق في الألم الذي عاشه طوال حياته، غرق في الحلم الذي لم يُكتب له أن يحققه.

أملكانت لا تزال في زفافها، لم تعرف أبدًا أنناجحكان في تلك اللحظة يواجه أعمق الخيبات،وأنه أصبح ذكرى مفقودة، كأحلامه التي ضاعت في البحر.

حينما جاء خبر وفاةناجح، كانتأملفيالنزلمع زوجها الجديد. كانت تجلس هادئة، ولكنها لم تستطع أن تظل على هذا الحال عندما رأت الخبر على شاشة التلفاز.كانتالجثةالتي عرضت على التلفاز هيناجح، الشاب الذي أحبته وأضاعته ظروف الحياة.في تلك اللحظة، انكسرتأملبشكل لا يوصف.دموعها كانت غزيرة، حارقة، كما لو أنها كانت تغسل ما تبقى من ذكريات.لقد ماتناجح، وماتت معهآمالهاالتي كانت تبنيها على عودته، على حلم الحياة الذي كان يعيشه معها في عالمٍ بعيد عن الألم.

ثم جاءها الشعور بأنها تتحملالذنب، بأنها كانت السبب فيفقدانه.أمل، التي كانت تؤمن بالأمل، كانت على وشك أن تسقط في قاع الهاوية.قررت في لحظة من الانكسار أنالانتحارهو الخيار الوحيد للهرب من ألمها، من الحياة التي أصبحت دونمعنى.

ولكنها كانت إنسانةمؤمنة، لا تملك الجرأة على فعل ذلك.رغم كل آلامها، رغم الخيانة التي كانت تُخفيها في أعماق قلبها،رغمالندمعلى ما مضى،أمللم تملكالشجاعةأن تهدم حياتها بيدها.وبدلاً من الاستسلام، وجدت في نفسهاإرادةقوية، وقررت أن تُكمل المشوار بطريقة أخرى.

قررت أن تُكرس حياتها لقضية أكبر منحبها لناجح،قضيةالظلم الاجتماعيالذي يعاني منه الشباب أصحاب الشهادات في بلادهم.قررت أن تناضل من أجلالعدالة الاجتماعية.أن تكونصوتًالكل شابمظلوم، ليحصل على حقه في العمل والكرامة في وطنه.

أسست أمل جمعية حملت اسم "جمعية أمل" لأصحاب الشهادات العاطلين عن العمل.نشطت الجمعية بشكل كبير، وأصبحتأملرمزًا من رموزالنضال الاجتماعيفي البلاد.لم تكن تقف مكتوفة الأيدي، بل كانت تسعى جادة إلى تغيير الواقع، إلى أن تُعيد الاعتبار لأصحابالشهادات العلميةالذين أصبحوا في طي النسيان، يُعتبرون مجردعاطلين عن العملبدلاً من أن يُنظر إليهم كأشخاص ذوي إمكانيات حقيقية.

وفي وقت كان فيه الشعب التونسي غارقًا في بحر من التحديات الاجتماعية، جاءالقدرليُفاجئ الجميع.فيالانتخابات الرئاسية، تم اختيار رجل منحي شعبي، كان يحملنفس مواصفات ناجح، نفس حلمه، نفس آلامه.رجلٌ قادم منالطبقات الدنيا، لكنه لم ينسَ معاناتهم، وآمن بالعدالة الاجتماعية.كان هذا الرئيس الجديد يحملرؤيةجديدة،

ورغبة حقيقية فيإصلاحما أفسدته سنوات من غياب العدالة.

لقد حارب هذا الرئيسالمحسوبيةوالرشوة، وأرسأنظمة جديدةلا يمكن اختراقها،أنظمة تقوم علىالشفافيةوالعدالة، حيثيجتاز المترشحونجميع التحديات بشروطمتساوية،ويُمنح كل صاحب شهادة حقه في التوظيف وفي الحياة التي يستحقها.

وهكذا، تغيرت حياة العديد من الشباب، مثلناجح، الذي رحل جسده، ولكنحلمهظل حيًا في كل فرد كان يواجه نفس القهر.أمل، التي كانت قد فقدت كل شيء، وجدت في نفسهاقوةلتغير واقع الكثيرين.لقد أنقذت نفسها وأنقذت الكثير منالأحلامالتي كانت مثلأحلام ناجح، لكن هذه المرة كانت نهاية القصة ليست نهاية الحلم، بل بداية جديدة لمستقبل أفضل.

أمل أصبحت رمزًا للقتال من أجل الحق، من أجل العدالة الاجتماعية.أصبحت الحافز الذي يدفع الجميع للنضال من أجلالفرص المتساوية.لقد تحولتقصة ناجحإلىدافعلتحقيق التغيير، والآن، بدأ الحلم يتحقق، بفضلأملوكل من حملواالقضيةمن بعده.

تأمل

في قصة "ناجح

لا يمكننا أن نتجاهل أن الرجل في المجتمع التونسي، مثل ناجح، غالبًا ما يكون محاصرًا بينالظروف الاجتماعية والتوقعات المجتمعية.

ناجح، الشاب الطموح الذي قدم كل ما لديه، الذي آمن بالكفاءة والقدرة

وجد نفسه في النهاية ضحية لنظام لا يعترف بالجميع على قدم المساواة، نظام يفضل

من يملكون الوسائل على من يملكون الموهبة.

ولكن، وفي لحظة من اليأس، قرر أن يتخذ قراره بنفسه، لكنه ضل الطريق، وواجهقدرًا قاسيًالم يكن في مقدوره تحمّله.

تظل قصة ناجح دلالة على الصراع الداخلي بين الإنسان وآماله، بين الحلم الذي يصطدم بالواقع الذي لا يرحم

وفي النهاية، تُختتم القصة بالدموع، التي تتحدث أكثر من الكلمات، وبالحلم الذي غرق في أعماق البحر.

ناجح لم يكن فقط ضحية لظروفه، بل كان ضحيةمجتمع غير عادل

حيث لم تُقاس الفرص بقدرة الإنسان أو جهده، بل بعلاقات، بظروف، وبأحوال لا تُحسب.

وأمل، كانت تجسيدًا لمفارقة الحياة:

هي التي كانت كل شيء بالنسبة له، وهي التي تسببت في اختفاء آخر أمل له.

في عالم يعاني فيه الرجل من غياب العدالة الاجتماعية، فإن حلم ناجح الذي كان يحارب من أجله طوال سنوات ضاع بين براثن الواقع الذي لا يرحم.

ربما ما كان ليموت ناجح هكذا

لكن في أعماق قلبه، كان يحمل حلمًا... حلم الحياة الحرة العادلة التي ينتظرها

لكن الحلم الأكبر هو أن يتمكن منالعيش بكرامةفي وطنه.

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الرابع: المرأة التونسية – بين التوق للحرية والحاجة إلى الحنان

المرأة التونسية اليوم ليست كما كانت،لكنها أيضًا ليست كما يُراد لها أن تكون.

تُطالب بحقوقها، وتُجيد الدفاع عنها،لكنها في داخلها... لا تزال تحمل طفلة تبحث عن حضن لا يُهاجمها،عن رجل لا يُصغّر منها لتكبره،بل يكبر بها ومعها.

هي حرة... نعم،لكنها أرهقتها نظرات المحيط حين تُقرر،وأرهقها الدفاع المستمر عن خياراتها.

بين العمل، والمجتمع، والحب،تعيش في سباق غير عادل...كأنها مطالبة بأن تثبت وجودها،وفي الوقت ذاته، تبقى "مقبولة"، "مُحبوبة"، "غير متمرّدة أكثر من اللزوم".

هي لا تريد كل شيء،تريد فقط أن تكون كما هي:امرأة تفكر، تُحب، تحلم، تخطئ... وتُسامَح.

مشهد سردي – "مريم وحدها"

مريم، 34 سنة، تعمل في شركة إعلامية.

جميلة بطريقة مختلفة... صادقة، عاقلة، حنونة، لكن لا تُجيد التمثيل.

أحبّها شاب اسمه أمين، قال لها في أول لقاء:

"نحبك على قد عقلك، مش على قد شكلك."

ضحكت...

ثم أحبته، بكل محاسنه وعيوبه..

حتى أصبحت تسأله:

تحب نشوف العائلة؟

ابتعد، قال:

تحسّك قويةبرشا... تحرجني."

هي لم تكن قوية، كانت فقط متعوّدة على غياب السند.

وحين رحل، لم تبكِ أمام أحد

لكنها غيّرت نغمة هاتفها...

فقد كانت تذكّرها بصوته.

ومنذ ذلك اليوم

صارت كلما ضحكت من قلبها

تخاف أن يُعجب بها أحد...

لأنها تعبت من البدء من الصفر مع من لا يعرف عمقها.

حكاية سردية – "ليلى التي عادت لنفسها"

ليلى، 41 سنة، مطلقة وأم لطفلين.

تزوجت صغيرة، قبل أن تعرف معنى أن تُحب نفسها.

في بداية زواجها، كانت تُصدّق أنها "محظوظة"

رجل يعمل، بيت محترم، ومجتمع يصفّق لها حين تصمت.

لكن أدركت ليلى بعد سنوات أن زوجها الثري السكير يخونها، يهينهاولايوليهاأيإهتمام

هي كانت بنسبة له لا تعدى أن تكون سوى قطعة اشترها أو امتلكها من أثاث منزله الفاخر.

صارت تُجيد إخفاء الدموع عن أطفالها

وتُتقن دور الزوجة الهادئة، حتى حين ينكسر شيء بداخلها كل يوم.

حين طلبت الطلاق

قالوا لها: "شنوةباش تربحي؟"

فأجابت: "روحي".

خرجت من البيت

لا تملك إلا كرامتها وإرادة غامضة للبدء من جديد.

درست، اشتغلت، ضحكت من جديد...

وصارت تُحب نفسها كما لم تفعل من قبل.

الرجال؟

بعضهم خاف من استقلالها

وبعضهم أراد أن يُروّضها كأنها حصان بريّ.

لكنها لم تعد تنتظر فارسًا

هي فقط تنتظر رجلاً لا يرتبك من نورها

ولا يشعر بالنقص حين تكون كاملة دون أن تحتاجه.

كل ليلة، تقرأ لطفليها حكاية

ثم تُطفئ النور وتهمس لنفسها:

"كنتِ شجاعة. هذا يكفي."

حكاية واقعية – حوار الصراحة

[المكان: مقهى هادئ، مساء خريفي. يجلس آدم ووجدان أمام بعضهما، فنجان قهوة في يد كل منهما، لكن العيون تقول أكثر من كل الكلمات.]

آدم:

وجدان... نحب نحكي معاك شوية، نعرفك تعبّة ومشتّتة، وقلبي معاك.

وجدان:

آه آدم... تعبت، والله تعبت. حسّيت روحي ماعادشنعرفشنوةنعمل. كل خطوة نحسّها ثقيلة، وكل مرة نحاول، نطيح.

آدم:

نعرف، نحس بيك،وإنتماكشوحدك.

أمّاخلينينقولك حاجة، يمكن أول مرة تسمعها بهذه الطريقة:

الخوف اللي تحس فيه توا...راهومش ضعف،راهوعلامة إنك قاعدة تقرب لحقيقتك.

وجدان:

أما آدم، أنا نشك في روحي، نشك في قيمتي...

ساعات نحسّإلييّمانستاهلشيء، مانستاهللا حب، لا نجاح، لا حتى كلمة طيبة.

آدم:

هذاك صوت مش صوتك الحقيقي، وجدان.

هذاك صوت قديم، يمكن جاك من جرح، من نقد، من مقارنة ظالمة... أما مش هو حقيقتك.

صوتك الحقيقي هو اللي قام توا، اللي يقولك:

"أنا مازلت واقفة، رغم كل شي... أنا مازلت نحاول."

وجدان:

أماعلاشالوجيعة تولّي أقوى كل ما نفيق ونقول: "أنا نستحق"؟

علاشكل ما نقرّب لحقيقتي، نحس بنار في صدري؟

آدم:

خاطر توا، الصوت اللي كان يخدّم فيك كمخدر بدا يسكت.

قبل، وقت كنت تشك، كان سهل تلوم روحك وتقول: "أنا السبب."

أما توا، وقت اللي فهمت إنك تستحق، تحس بالوجيعة الحقيقية:

إنكتحرمتظلم، وإنك كنتتستاهلوماخذيتش.

وجدان:

والله هذا اللي نحسه...

نحس بوجيعة ما كنتش نحب نشوفها.

أما توا، ماعادشنجم نغطيها.

آدم:

وهذا، وجدان، أول خطوة في الشفاء.

راهومش كل وجيعة تعني ضعف... فما وجيعة تعني وعي.

وأنت واعية، وأكثر من هكا،إنتشجاعة.

وجدان:

أما أنا وحدي، آدم.

كي نطيح، ما فماش حديمدلييده.

أنا اللي نواسي روحي، أنا اللي نقوم بنفسي، وهذا يوجّع.

آدم:

صدقيني،ماكشوحدك... على الأقل، موش قدّام نفسك.

وحتى إذا الناس ماكانتشديما جنبك، لازمكإنتتكوني جنب روحك.

لازمك تقول:

"...أنانستاهل"

أنا كافية...."

وجدان:

نحس روحي بكيت، مشحكيتلك...

آدم:

بالعكس، بكيتك وصدقك وصلتني.

أنا نحب نقولك اليوم، بصوتك، بصوتي، بصوت كل مرا صادقة وتعبت من الصبر:

"أنانِستاهل، حتى كان ماعطونيشحقي."

"أنانِستاهلالحب، الاحترام، الراحة، بلا شروط."

"أنانِستاهلنعيش... موش ننجّم برك."

وجدان:

تعرف آدم... أول مرة نحس اللي مشاعري تترجم بصوت حدّ آخر..

آدم:

وماتنساش، كل مرة تحس روحك ضعفت، قولي:

"أنا مازلت هوني، أنا موجودة، حيا، نتنفس، نقاوم... وهذه وحدها كافية باش تقويك."

وجدان:

ساعات الشك في النفس... راحة.

خاطر الوعي مؤلم، مؤلمبرشا.

آدم:

هذا كلام فلاسفة...

هذيكهي النفس البشرية، متقلّبة، أما كل نهار يجيب نهار جديد..

تأمّل

المرأة التونسية،هي تلك التي حملت على كتفيها الأجيال،وأمامهم ابتسمت رغم الآلام.لكنها أيضًا، تلك التي كانت تبحث عن نفسها بين متطلبات المجتمع وصوت قلبها.

كانت دائمًا مطالبة أن تكون قوية...أن تكون صامتة حين يتطلب الأمر،أن تتحمل عبء العائلة، والمجتمع، والعمل، والحب،ثم تظل تحت الأضواء، تبذل من أجل كل شيء،لكن دون أن ترفع نفسها للحظة لتُسأل:"ماذا تحتاجين أنتِ؟"

هي لم تكن قوية من البداية،بل كانت تُجبر على القوة لأن الآخرين لم يلاحظوا ضعفها.وكانت تظن، في لحظة ما، أن قوة قلبها ستجعلها أقوى،لكنها اكتشفت أن قلبها يمكن أن ينهار أيضًا...وأن الحنين قد يتحوّل إلى جرح.

الحرية التي سعت إليها،كانت أحيانًا أكثر ثقلاً من قيود كانت قد فكّت عنها.بحثت عن الأمان في الرجل، في العمل، في الحياة،ثم اكتشفت أن الأمان الأكبر هو أن تكون هي نفسها،رغم كل التناقضات، ورغم أن المجتمع لا يزال يطلب منها أن تكون في مكان واحد:إما حرة... أو امرأة تحب وتُحب.

والحقيقة؟هي لا تبحث عن حل كامل،بل عن مكان آمن لروحها...مكان يمكنها أن تكون فيه،تغني، تبكي، تُخطئ وتُصلح،وتظل دائمًا، في النهاية، امرأة كاملةفي داخلها وفي الخارج.

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الخامس: صراع العلاقة بين الرجل والمرأة التونسيين

تمهيد

في المجتمع التونسي، توجد علاقات متشابكة بين الرجل والمرأة، حيث تتداخل الحريات والتقاليد، الحب والصراع، والتوقعات الاجتماعية والواقع المعيشي. في ظل التغييرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها تونس، يتأرجح هذا الصراع بين رغبة الرجل في الحفاظ على مكانته التقليدية، ورغبة المرأة في التحرر، البحث عن هويتها الخاصة، وتأكيد حقوقها. وبينما يسعى البعض إلى التوازن بين التقاليد والحداثة، لا يزال العديد يجد نفسه عالقًا في دوامة من التناقضات التي لا يمكن تجاهلها.

المرأة بين التقاليد والتحرر

لطالما كانت المرأة التونسية في صراع بين دورها التقليدي داخل الأسرة والمجتمع، وبين تطلعاتها الشخصية نحو الحرية والمساواة. هذا الصراع هو نتيجة لتداخل العادات الاجتماعية المحافظة التي تحدد ما يمكن أن تكون عليه المرأة، وبين الرغبة في التحصيل العلمي والمهني، والتحرر من القيود المفروضة عليها.

المرأة في تونساليوم لم تعد تقبل أن تكون مجرد تابع. فقد نشأت أجيال جديدة على فكرة المساواة في الحقوق، وحقها في اختيار مصيرها، من التعليم إلى العمل، ومن الزواج إلى تحقيق الذات. ومع ذلك، لا يزال هناك صراع داخلي، حيث تواجه المرأة مواقف عديدة في حياتها اليومية، خاصة في العلاقات مع الرجل، الذي تظل في عينيه الكثيرة من أدوار الأم والزوجة والطبيبة والشاعرة، وغيرها من الأدوار المتعددة التي تضيف عبئًا على كاهلها.

تحديات المرأة في المجتمع التونسيتتمثل في صعوبة الجمع بين الأدوار الاجتماعية المطلوبة منها. المرأة التي تعمل وتكافح على كافة الأصعدة، تجد نفسها أحيانًا مقيّدة بالأعراف والتوقعات التي تمليها الأسرة أو المجتمع. هذا الصراع بين العمل والبيت، بين التقدم الشخصي ومسؤوليات الأسرة، يصعب على الكثير من النساء الموازنة فيه.

الرجل التونسي بين الأدوار التقليدية والحديثة

على الجانب الآخر، يواجه الرجل التونسي تحديات مختلفة، وهي تحديات قد لا تكون واضحة أو مرئية للكثيرين. في المجتمع التقليدي، كان من المفترض أن يكون الرجل هو "الركيزة" التي تعتمد عليها الأسرة، القوي المسؤول عن تسيير شؤون الحياة اليومية. ولكن مع مرور الزمن وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية، أصبح الرجل التونسي يعاني من صراع داخلي بين التوقعات التقليدية والمجتمعية، وبين طموحاته الشخصية التي قد تتجاوز هذه الحدود.

الرجل التونسياليوم قد يشعر بضغط كبير من التوقعات التي تحكم عليه بأن يكون قوياً، صلباً، وأن يُثبت نفسه في مجالات الحياة كافة، بما في ذلك العمل والعلاقات الشخصية. في ظل الأزمات الاقتصادية والضغوط الاجتماعية، يجد الرجل نفسه في مواجهة تناقضات كبيرة بين كونه "مقدامًا" وحاملًا المسؤولية من جهة، وبين كونه "رقيقًا" ومتفاهمًا في علاقاته مع المرأة من جهة أخرى.

الصراع الذاتيهو أحد أبرز التحديات التييواجههاالرجل التونسي في وقتنا الحالي. فبينما يجب أن يكون القوي، يتطلب منه المجتمع أيضًا أن يكون عاطفيًا ومتفهماً في علاقته مع المرأة. هذا التناقض قد يؤدي إلى اضطراب في الهوية الشخصية للرجل، وتجعل من العلاقة بينه وبين المرأة أكثر تعقيدًا.

التوقعات المتبادلة بين الرجل والمرأة

رغم التغيير الكبير الذي شهدته تونس في السنوات الأخيرة، تظل العلاقة بين الرجل والمرأة محكومة بمجموعة من التوقعات المتبادلة. الرجل التونسي يتوقع من المرأة أن تكون حاضرة ومتفهمة، قادرة على منح الحب والرعاية والعطف. بينما المرأة التونسية تتوقع من الرجل أن يكون حاميًا، قويًا، وداعمًا في جميع الأوقات.

إحدى أبرز المشاكل التي تنشأ في هذه العلاقة هي فكرةالتموضعأوالدور الثابت.في كثير من الأحيان، يتوقع الرجل من المرأة أن تبقى في موقعها التقليدي داخل المنزل أو العائلة، بينما قد تتوقع المرأة أن تجد مساحة أكبر في المجتمع للعمل والظهور في الفضاء العام.هذه التوقعات قد تؤدي إلى حالة منالتمردفي بعض الأحيان، حيث تجد المرأة نفسها تتخلى عن الأدوار التقليدية التي كانت مفروضة عليها، في حين يعاني الرجل من تحول دوره بشكل متسارع، ويشعر في بعض الأحيان بالتهميش أو العجز عن التكيف مع هذه المتغيرات.

القيم الجديدة وتحديات الحب في عصر التغيير

الحب في المجتمعات التونسية لا يزال يحمل في طياته مزيجًا من الأمل والخوف، الصراع والانسجام. ومع تقدم الزمن، تزايدت الفرص للمرأة لتقرير مصيرها في العلاقات، لكن ذلك أيضًا فتح المجال لظهورخوفمن "الاستقلال الزائد" الذي قد يؤدي إلى تباعد الرجل والمرأة، مما يعمق فجوة الفهم والانسجام بين الطرفين.

في الكثير من الأحيان، تواجه العلاقات تحدياتالتحرر العاطفي، حيث أصبح كل طرف يشعر بالضغط لكي يتحقق على الصعيد الفردي قبل أن يتمكن من تقديم ما يحتاجه الطرف الآخر. فالرجل يشعر بأن احتياجاته العاطفية قد تُغفل في سياق تحولات المجتمع، بينما ترى المرأة أن صوتها لم يعد يُسمع بشكل كافٍ في إطار التحولات التي تحدث من حولها.

الحداثة الفوقية

لا الرجل التونسي، ولا المرأة التونسية، المسؤول الوحيدعن ماتشهده العلاقة بينهما من اضطراب. إنّ الجرح أعمق، وأكثر تراكبًا. ففي مرحلة ما بعد الاستقلال، قررت النخبة السياسية الحاكمة -خصوصًا بورقيبة والجيل الذي حوله– أن تدفع نحو مشروع حداثي طموح، خصوصًا فيما يتعلق بوضع المرأة. فصدرتمجلة الأحوال الشخصية، وتم فرض جملة من القوانين الوضعية الجريئة، والتي كانت، في وقتها، سابقة لعصرها في العالم العربي.

لكن هذا التحوّل لم ينبع من نضال اجتماعي واسع، بل كانقرارًا فوقيًامن دولة أرادت أن تصنع مجتمعًا حديثًا على الورق، دون أن تتهيأ القواعد المجتمعية لقبول هذا التغيير. هكذا وُلدتحداثة فوقية، تعيش المرأة تحت مظلتها حقوقًا متقدمة قانونيًا، بينما تظل تحيط بها ثقافة تقليدية صارمة داخل البيت، في الشارع، وفي أعماق اللاوعي الجمعي.

الرجل التونسي نشأ في هذا التناقض:يتعلم في البيت أن يكون "راجل"، قويًا، غيورًا، حاميًا، لكنه يُطالب في الجامعة أو الإعلام أو حتى الشارع أن يكونمتفهمًا، مؤمنًا بالمساواة، لا يغار، ولا يفرضفكيف له أن يوفّق بين هذا وذاك؟ إنه ضحية نظام لم يمنحه الوقت الكافي ليتحول، ولم يمنحه أدوات هذا التحول.

في المقابل، تطالب بعض النساء بالمساواة، لكنهنّ أيضًا يُردن الاستفادة من امتيازات الأنوثة الاجتماعية، من الحماية، العناية، الغيرة، التقدير. وهذا يضع الرجل في حالة منالارتباكالهوياتي:هل يُعامل المرأة كشريكة مساوية؟ أم كأنثى يجب أن يتكفّل بحمايتها؟

إنّالسبيل الحقيقي للخروج من هذا الصراعليس في مزيد من الاتهام المتبادل، بل في بناءوعي مشترك جديد، تمر فيه المرأة بالرجل، لا عليه. وترافقه، لا تسبقه. ويمران سويًا إلى شكل منالرجولة الإيجابيةالتي لا ترى في القوة قمعًا، ولا في المساواة خصومة، بل حلفًا عميقًا لبناء علاقة حقيقية، عادلة، وإنسانية

بينما تطور المجتمع التونسي، يظل الصراع بين الرجل والمرأة قائمًا في ظل التغيرات الاجتماعية. التوقعات المتبادلة والأدوار الاجتماعية التقليدية قد تؤدي إلى المزيد من التحديات في العلاقات. مع ذلك، يظل الأمل في إمكانية الوصول إلتفاهم عميقبين الطرفين، حيث تتسنى الفرصة لكليهما لبناء علاقة قائمة علىالاحترام المتبادل، والعدال.

تأمّل

"بين الجدار والظلّ

لم يكن هو خصمها، ولم تكن هي عدوته.كانا طفلين وُلدا في بيتٍ قديم، بين جدران تتكلّم بلغةٍ أقدم من القانون.هي تعلّمت أن تحلم، لكنه لم يُسمح له بأن يحلم.هو تعلّم أن يكون جبلًا، لكنها أرادت منه أن يكون غيمًا.لم يفشلا لأنهما لم يُحبّا،بل لأن أحدًا لم يعلّمهما كيف يعيشان في حبٍّ لا يُقصي أحدًا.

الحداثة طرقتهما على الكتف، ثمّ تركتهما وحدهما في ساحة القتال.قالت لها: أنت حرّة، وقالت له: لا تكن سجنًا.لكنها لم تشرح له كيف يتحوّل من جدارٍ إلى ظلّ.

هو لا يحتاج إلى أن يُدان،وهي لا تحتاج إلى أن تُبرَّأ،بل أن يجلسا معًا، على الطاولة ذاتها،ويتقاسماالخبز، والدمع، وسؤالًا بسيطًا:"كيف نكون بشرًا... معًا؟"

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل السادس: ساحة الحرب - الحب في صراع

في ساحة الحرب بين الرجل والمرأة التونسيين، لا تُطلق رصاصات، ولا تُرفع البنادق، لكن الصراع مستمر في القلب، في الفكر، وفي تصرفات كل طرف تجاه الآخر. هو صراعناعمولكن دامٍ، يبدأ من أول نظرة إلى أول خلاف، ويستمر في تفاصيل الحياة اليومية التي قد تكون قاتلة ببطء.

تُشهر المرأة التونسية سلاحًا ثقافيًا، تطلب المساواة وتطمح للحرية، بينما يُشهر الرجل سلاحًا مجتمعيًا، يواجه تحدياته في أن يُحسن التوازن بين صورته التقليدية كحامي وقائد، وبين صورته الحديثة كحليف متفهم ومساوٍ.

هذه الساحة، حيث يلتقي الحب مع الصراع، تتطلب منهما كثيرًا من الشجاعة لمواجهة قسوة الواقع الذي قد يدمر كل شيء إلا القلوب التي لا تتوقف عن الحب.

تصادم القيم القديمة مع الجديدة

الرجل التونسي لا زال يعيش في صراع مع قيمه التقليدية. تعلّم أن يكون قويًا في وجه التحديات، حاميًا لأسرته، ورمزًا للقدرة والسلطة. وفي مواجهة المرأة، التي تطالب بالمساواة، يجد نفسه مشوشًا. عليه أن يظهر قوته، ولكن أيضًا يجب أن يعلو صوته بما لا يمسّ كرامتها. يطالب بأن يُعامَل بالمثل، لكن في الوقت نفسه يُتوقع منه أن يكون الأقوى.

أما المرأة التونسية، فهي في وضع مشابه. تردد بين عالمين؛ عالم حديث يملي عليها أن تكون متساوية مع الرجل، وأن تحارب من أجل حقوقها، وعالم تقليدي يرى في الأنوثة ضعفا يجب إخفاؤه. هي من جهة تُطالب بمساواة، ولكنها في ذات الوقت تشعر بتوقعات مجتمعية من الرجل أن يحميها ويُعتني بها كما في الماضي.

هل الحب يمكن أن يُزهر في مثل هذه الظروف؟سؤال يصعب الإجابة عليه.

تأملات في عمق الصراع

يبدأ الصراع الصامت بين الرجل والمرأة في لحظات بعينها؛ عندما يسعى الرجل للتعبير عن مشاعره، ويكتشف أنه مُطالب بأن يُظهر ضعفه أمامها، في حين تُصدم المرأة لأن الرجل لا يعترف بمساواتها بشكل كامل.

هو يرى فيها شخصًا يجب أن يُعتنى به ويُحترم. هي ترى فيه القوة، لكنها تحتاج أن تشعر بالتقدير الحقيقي. الصراع بين حاجات الرجل في الثبات والاحتواء وحاجات المرأة للحرية والتقدير يتصاعد، ليصبح معركة غير مرئية تحاول أن تُسمع في كل كلمة وتُقرأ في كل تصرف.

اللحظة الحاسمة: نهاية الصراع أم بدايته؟

في لحظة ما، يدرك كل منهما أن الصراع لم يكن إلا تراكمًا من الضغوط، وأن الحل ليس في الهروب من الآخر، بل في البحث عن نقطة تلاقي حقيقية. هي لحظة تنبع من الفهم، ويحتاج كل طرف إلىالصمتلكي يفهم الآخر. ولكن هل سيتحقق ذلك قبل فوات الأوان؟ وهل سيتقبل كل طرف أن يضع سلاحه، ولو مؤقتًا، ليُعيد بناء الجسر بينهما؟

في ساحة الحرب هذه،لا يوجد منتصر ولا مهزوم.الحب الذي يبدأ بالصراع قد ينتهيبالتفاهم العميق، إذا توفرت المساحة للهدوء والاعتراف بالآخر. يظل الحب معركة مستمرة في عقولهم وقلوبهم، ولكنها قد تكون المعركة التي تُعيد تشكيل الحياة نفسها.

[قهوةصغيرة على طرف المدينة، كراسيها حديد، والجوّ فيه ريحة قهوة وماضي... هو وهي قاعدين قدّام بعضهم، الصمت بيناتهم أثقل من الكلام]

هي:علاه ديما نحسّ روحي نحارب معاك؟ حتى كيف نحبّك... نحسّها حرب مش حب.

هو (يتنهّد):خاطرنيمانفهمكشديما... وخاطرني تعلّمت نكون راجل بالقوّة، مش بالحنيّة. واليوم، الدنيا تبدّلت... وأنا مازلت نحاول نبدّل جلدي من غير ما ننسى روحي.

هي:وأنا؟ تربّيت نقول حاضر، نسكت، نضحّي... وبعد،قالوليكوني حرّة، قويّة، ماتستنّيشحدّ. بقيت بين زوز عوالم، لا هنا لا غادي.

هو:إحناالاثنين في وسط نار.قالوليالرجولة صلابة، وماعلّمونيشالرحمة.وقالولكالاستقلال، وماعلّموكشكيف تعيشيه بلا ما تحسّي بالذنب..

هي (بصوت طايح):أنا تعبّت... نحبّ نحبّك بلا ما نتحاسَب، بلا ما نُفسَّر كلّ لحظة، بلا ما نخاف.

هو:وأنا نحبّ نكون راجل يعيط وقت يوجعوه، ويحبّ من قلبوه، ومايتهزّشوقت يبكي.

سكات طويل... كل واحد في بحرأفكارو

هو:شنوةرأيك؟ نحبّنبداومن جديد... بلا سلاح، بلا دفاع،نسمعولبعضنا برك.

هي:

السكوت أوقات أفهم من ألف كلمة... يمكن السلام يجي وقتنطفيواضجيج القلوبونسمعوصمتها.

هوأما يلزمنا الشجاعة، بشنبدّلوالمعركة لفهم...ونرجّعوالحبّ كيف ما يستحقّ يكون.

هو يقوم، يمدّ يدو ليها، ما قال شيء، ما قالت شيء... لكن في عينيها كان ثمّة هدوء

جديد، موش استسلام، إنما بداية هدنة... صمت يشبه أوّل ملامسة بعد عاصفة. كانوا ماشيين في سكوت، لكنّ كلّ خطوة كانت تحكي.

حوار الروح – حوار اللحظات الأخيرة

المكان: شاطئ هرقلة، ولاية سوسة، مدينة ساحلية تونسية

في صباحٍ هادئ، حيث تتلاطم أمواج البحر على شاطئ هرقلة الذهبي، تتناثر أشعة الشمس على المياه الزرقاء وتضيء المدينة بكل جمالها الساحر. بين غابات الزيتون الخضراء التي تحيط بها من الجانبين، وتاريخها العريق الذي يتنفس بين أزقتها وأماكنها الأثرية، كان قلب طارق وسلمى في حيرة، بين الماضيالحزين والحاضر الذي يحاولان أن يجدا فيه نفسيهما من جديد.

هُنا، في هذا المكان الجميل والمفعم بالتاريخ، كان طارق وسلمى يجلسان معًا، بعد سنوات من الألم والذكريات. ربما كان اللقاء في هذا المكان هو ما كان يحتاجه كلاهماالينهيانفصلاً من حياتهما،ويبدأاًنصفحة جديدة في هدوء وراحة.

طارق:

"سلمى، مانجمشننكر إلي كل لحظة عشناها مع بعض تركت أثر عميق في قلبي. أما اليوم، بعد ما مر وقت طويل، نلقى روحي قادر نحكي معاك بطريقة هادئة وعقل بارد أكثر. كان قلبي ديما يجرني ليك، أما تعلمتكيفاشنحطوفيمكانوالصحيح اليوم."

سلمى:

"طارق، ماكانشسهل عليّ زادة. ديما كنت نحاول نرجع في تفاصيل الماضي ونبحث على معاني لما صار بينا. أما في الآخر، فهمتإليالحياة ماشية ومانجموشنحبسوهافي الماضي إلّي مانجمشنبدلوه."

طارق:

"نعرف الشعور هذا، برشا مرات كنت نحس روحي عايش في دوامة، ومانقدرشنخرج منها. أما مع مرور الوقت، تعلم تكيف اشنتعامل مع جروحي،كيفاشنقبل الخسارةوكيفاشنفتح صفحة جديدة. غلطت في حقّيبر شامرات، أما اليوم نحب نقولك إنّي غفرت ليك، موش على خاطر إنكتستاهليالمغفرة، أما على خاطر أنا زادةنستاهلالسلام الداخلي."

سلمى:

"أنا زادة تعلمت برشا، طارق. في البداية، كان قلبي مسكّر تمامًا، كنت نرفض نفكر في إنّي أخطأت. أما مع الوقت، شفت غلطي بوضوح. وبرشا مرات تساءلت:كيفاشنكون إنسانة أفضل؟كيفاشنتعلم من الماضي ونبني مستقبلي من غير ما نخلّي الماضي يتحكم

"فيا؟ كنت نعرفإنّيمانقدرشنرجع للماضي، أما كنت زادة نعرفإنّهمانجمشنتجاهلدروسو."

طارق:

"عندك الحق، سلمى. الحياة ماكانتشكيف ما تصوّرت في البداية. كنتِ الشخص إلي نحب نعيشمعاهللأبد، أما مع مرور الوقت فهمنا إنّو الحب موش برك وعود، أما فهم وتقدير حقيقي. مانقدرشننكر إلي كان فما وقت حسّيت فيه إنّي مانقدرشنكمل من غيرك. أما اليوم، عندي السلام الداخلي إلي كنت نبحث عليه."

سلمى:

"وأنا زادة، طارق. فهمت اليومإنّيلازم نقبل ماضيّ، بكلغلاطووصعوباتو. وإنّي مانجمشنبقى نعيش على الذكريات، في وقتإليالحياةمستنيتنا. ماكناشأعداء، أما أخطانا فيبرشالحظات. تعلمت إنو الحب الحقيقي يبدأ وقت إلي نغفر لأنفسنا قبل ما نغفر للآخرين."

طارق:

"صحيح، وما فما شيء يقوّينا أكثر من إنّونقبلواأنفسنا كما هي،بعيوابهاوأخطائها. اليوم، مانبحثشعلى اعتذار من حد، ومانحتاجشإنك تثبتّي لي شيء. تعلمت نعيش في سلام مع روحي، ونحط الماضي فيمكانو،لأنومانقدرشنغيرو."

سلمى:

"إنتعلى حق، طارق. وربما الفراق بينا كان هو اللي كنا محتاجين ليه باشنعرفواشكوناحنافي الحقيقة. كنت ديما نحتاج للغفران، أما مافهمتوشإلا وقت قررت نغفر لنفسي قبل ما نغفر للآخرين."

طارق:

"أنا ممتن لكل لحظة مرّت بينا، لأنها خلتني الشخص اللي أنا عليه اليوم. ممتن ليك لأنك كنت جزء من حياتي، حتى وإن كانت اللحظاتهذيكفيها ألم في بعض الأحيان. واليوم، نحبك تعرفي إنّي نتمنى ليك السعادة الحقيقية إلتستاهليها."

سلمى:

"وأنت زادة، طارق. حتى وإن كانت علاقتنا انتهت، نحب لك الخير في كل خطوة تخطيها. لأني تعلمت إنو الحب موش لازم يدوم للأبد، أما يترك أثر يخلي حياتنا أفضل. وإن شاء الله دايمًا تلقى السلام الداخلي إلي تستحقه."

طارق:

"فما حاجة انحب نعترف لك بها. أنا لم أنساك في يوم ما... أنهيت علاقتي بك في السابق، موش لأني حبيتالإنفصالأو نخسرك، لا.حبيتكتتعلم، وتأخذ علاقتنا بجدية أكثر."

سلمى:

"نعرف، طارق، نعرف. وأنا تعلمت من تلقاء نفسي، مش كانإنتعلّمتني. تعلمت دروس كتبتها بدموعي. أما توا، كيف ما يقولو: اللوم بعد القضاء بدعة. لكن هذا مايمنعشأننا عشنا أجمل وأحلى الحكايات."

طارق:

"إذن، خلينانغلقواهذا الفصل من حياتنا بسلام. باشنحتفظوابالذكريات الجميلةونتركواالألم وراءنا. في الآخر، كل واحد فينا محتاج يمشي في طريقه الخاص. نحبك تعيش حياتك بسلام وأمل."

سلمى:

"وأنت زادة، طارق. الحياة ماشية، وكل واحد فينا بش يلقى طريقه. أما اليوم، نجموانغادرواالحديث هذا بلا ضغينة، بلا ألم. لأني تعلمت إنو الحياة لازمنعيشوهابروح مفتوحة وقلوب قادرة على الغفران."

غادروا المكان..

كانت الأمواج تتلاطم على الشاطئ، تتناغم مع ألحان الحياة التي لا تكرر نفسها، بينما كانت موسيقى شرقية تُسمع من المقهى القريب على الشاطئ. كلمات الأغنية تملأ الجو:

خلينيذكرى جميلة عندك

وإوعتتنسى زمان

ماتقولشحبي وقت عدى

ويوم خلاص عشناه

قول إني حبي حب غالي

بس هي حياة...

كان طارق وسلمى يسيران على طول الشاطئ، وقلوبهم تغمرها الأحاسيس المتناقضة. بين الماضي والحاضر، كانا يعلمان أنه لا يمكنهما العودة إلى الوراء، حتى لو كانت الذكريات جميلة في بعض الأحيان، إلا أن الفراق كان له طعمه الحزين.

بالرغم من أن كل شيء انتهى، كانا قد تعلما شيئًا جديدًا: تقبل الحياة كما هي، رغم

الألم والذكريات التي لا تفارق. كانت صعوبة التكيف مع الوضع الجديد تسيطر عليهما، ورغم أنهما تقبلا الواقع، إلا أن القبول كان مؤلمًا.

غادروا المكان، لكن الذكريات، كما تعلموا، لا تفارق الروح. كانت تلك اللحظات، رغم قسوتها، تحمل في طياتها دروسًا تعلموها، حتى وإن كانت صعبة وقاسية. الفراق كان أمرًا حتميًا، لكن الدروس التي حملتها هذه العلاقة، مثل الذكريات، ستظل معهم إلى الأبد.

تأمل

لم يقولا شيئًا في النهاية.لم يحتج الصدق إلى لغة، ولا الألم إلى تبرير.كان الصمت بينهما هو المصالحة المؤقتة، الهدنة النادرة بعد اشتباكٍ طويل.ومع كل خطوةٍ نحو الخارج، كانت الأصوات القديمة تبهت، وتخفت، كأنّ الزمن يمنحهما فرصةً أخيرة...فرصة ليُصغيا لا لبعضهما، بل لما لم يقله كلّ منهما عن نفسه.وهكذا، في صمتٍ يشبه الصلاة، لا الوداع، بدأت مرحلة جديدة.مرحلة لا ترفع فيها الأسئلة سيوفها، بل تمدّ أيديها لتلمس الحقيقة برفق.

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل السابع: صمتٌ بعد الضجيج

في لحظةٍ ما، لا يعود الصراخ مجديًا، ولا الأسئلة نافعة.تتعب الروح من الجدل، وتتوق إلى صمتٍ يشبه المأوى.ليس صمت الاستسلام، بل صمت الإدراك... صمت النضج.

هو لم يعد يحاول أن يُثبت رجولته كما فهمها من صغره،وهي لم تعد تُحاكمه بمعايير جاهزة لما يجب أن يكون عليه الرجل.

في هذا الفصل، لا نروي قصة حُب ولا فراق، بل لحظة نادرة،حين جلس كلٌّ منهما مع نفسه أولًا،فأدرك أنه ليس عدوّ الآخر، بل مرآته.

هو أدرك أن القسوة التي ورثها عن مجتمعه،لم تكن سوى درعٍ ثقيل، أخفى بها هشاشته.

وهي فهمت أن صلابتها لم تكن دائمًا نابعة من قوة،بل من خوفٍ قديم أن يُكسَر قلبها دون أن يُسمع له صدى.

في صمت كلٍّ منهما، تكشفت الحكاية الحقيقية:أن كليهما جُرِح، وكليهما كان يبحث عن ضماد... لا سيف.

وفي قلب ذلك الهدوء، بدأت تنبت بذور الرجولة الجديدة،والأنوثة التي لا تخشى النور، ولا تنكر الظل.

كانت تلك اللحظة صادقة بما يكفي لتُعيد تعريف العلاقة:لا باعتبارها ميدان صراع، بل ساحة فهم...مكانًا لا ينتصر فيه أحد، بل ينجو فيه الاثنان.

قصة: "يُسرى والظلّ الذي لا يُخيف

رحلة يُسرى ونديم

في مدينة زغوان، حيث يلتقي خرير الماء بأنين القلب، وحيث تتراقص أشعة الشمس على وجوه أشجار الزيتون كأنها تعزف سيمفونية حياة، كانت يُسرى تمشي وحدها.

كانت تمشي كأنها تخشى أن تخطئ في الوجود.

وجهها مثل ضوء الفجر... لا يصرخ، بل يهمس.

روحها مثل الوردة التي تفتّحت بعد شتاءٍ طويل، لكنها لم تعرف بعدإنكان العالم يستحق عطرها.

في قلبها، شيء لم يُسمَ بعد...

وجعٌ قديم، مزيج من الطفلة التي لم تُحتضن حين بكت، والمرأة التي تعبت من تمثيل القوة حين انهارت.

لم تكن تكره الحياة، بل كانت فقط تبحث عن يدٍ تطمئنها...

عن صوتٍ يقول: "أنا أراك، وكل ما فيك... محبوب."

في طريقها إلى عين زغوان، التقت به.

نديم.

رجل لا يُرى من النظرة الأولى، لكنك إن نظرت مرتين...

ستشعر أن قلبك خفّ فجأة.

أنه يعرف أشياءً لا تُقال.

كأن روحه عبرت النار، وبقي منها نورها فقط.

نظر إليها كأنها ليست غريبة، بل شيء تذكّره للتو.

ابتسم، وقال، بدون مقدمة، بدون سؤال:

فيك نور، أماإنتي تسيّح من ظلّك.

ماتخافيش منو... الظلّ مايعنيش ظلام، الظلّ يعني إنّو فيك نور."

ارتبكت.

شعرت أن كلمات غريبة تمشي داخلها وتفتح أبوابًا قديمة.

أرادت أن تبتعد.

لكن شيئًا في صوته جعلها تبقى.

كأن روحها الصغيرة أمسكت يدها وقالت:

ابقَي... لقد تعبنا كثيرًا من الهرب."

جلست بجانبه قرب الماء.

لم يقل الكثير.

"لم يسألها "ما بكِ؟

لكن صمته كان أكثر صدقًا من ألف سؤال.

قالت له بعد صمت طويل:

"مرات نحسّ روحي مش كافية...

نحب نبان كاملة، نحب نرضي، أمانتخنق."

ردّ بصوت كأن فيه حضن أم، وصدق حبيب، وفهم صديق:

"شكون قالك لازمك تثبّت حاجة؟

كفاك تكونيإنتي... بلا تزيين، بلا تصنّع، بلا ضحكة بالقوّة.

كوني كيماانتي، وأنا نقعد نشوفك... برك."

دمعت عيناها، لا لأنها حزنت، بل لأنها شعرت أخيرًا أن أحدًا... فهمها.

قال لها بصوت خافت:

"أنا نعرف الصوت اللي فيك، اللي يشكّ

اللي يقول: 'أنا مش كافية؟'

أما نحب نقولك حاجة...

فيك طفلة صغيرة، ما حضنها حد كي بكيت...

لا تصلّحها، حضنها."

ابتسمت، وابتسمت دموعها معها.

ذلك الرجل، لم يكن فارسًا ولا شاعرًا

بل كان مرآة نقية... أظهر لها ما كانت تخاف أن تراه في نفسها:

جمالها الذي لا يحتاج ترخيصًا من أحد.

وبينما الماء يهمس تحتهما، قال:

"بطل حروبك مع روحك.

إنتيراحة،علاشعايشة كي المعركة؟"

ضحكت لأول مرة منذ مدة.

ضحكة لم تكن خجولة، ولا قوية... بل ضحكة مرتاحة.

وضعت يدها في يده، دون كلمات.

وفي تلك اللحظة، لم تكن قصة حب...

بل كانت قصة شفاء.

كان لقاؤهما نقطة تحوّل، لا صُدفة عابرة.

لأنهما التقيا لا ليكمل أحدهما الآخر

بل لأن كل واحد فيهما كان قد بدأ أخيرًا يرى نفسه.

وهما يسيران بين الزهور وماء الجبل

قالت له يُسرى ضاحكة، والريح تداعب خصلات شعرها:

"حلّي روحك..."

ضحك، ومدّ يده أكثر في يدها، وقال:

"حلّي بابا... باش تولّي حلّي."

وضحكا معًا، ضحكة تعني كل شيء...

ضحكة تقول: الآن، بدأنا نعيش.

النهاية؟

لا... بل بداية كل شيء.

تأمل ختامي

ربما لا نحتاج دائمًا إلى الانتصار في الحب

بل إلى لحظة صمت نختبر فيها ما تبقّى منا بعد كل المعارك.

أن نجرؤ على أن نكون، دون أقنعة، دون ادّعاء.

أن نُحب لا لنثبت شيئًا، بل لأن الحب وحده يُنبت المعنى في أرضٍ أقفرت من الضجيج.

الصمت هنا لم يكن نهاية، بل بداية خافتة

بداية لمن فهم أن الحنان لا يُختصر في كلمات

وأن أقوى العناق هو ذاك الذي يمنحه الحضور، لا الذراعان.

وفي ذلك السكون، لم يُحلّ كل شيء

لكن شيئًا ما عاد إلى مكانه...

ربما القلب.

العودة إلى الفهرس ⬆

الفصل الأخير: حين يصمت القلب، تتكلم الحقيقة

ما بين الرجل والمرأة في تونس، ليست الحرب كما يظن البعض،وليست الحب كما يحلم آخرون.هي رحلة، تشبه البلاد نفسها: مليئة بالضوء والظل، بالأمل والخذلان، بالحنين والغضب.

لم يكن الرجل عدوًا، ولا المرأة خصمًا.كانا فقط أبناءَ واقعٍ لم يُنصف أحدًا.قوانين فوقية، مجتمع تقليدي، أحلام كبرى معلّقة على شرفاتٍ من إسمنت هشّ،وكلٌّ منهما يُطالب بأن يكون شيئًا لم يُدرّب عليه يومًا.

الرجل التونسي ليس كما يُقال... والمرأة التونسية ليست كما يُراد أن تُفهم.في كلٍّ منهما هشاشة... في كلٍّ منهما صلابة.وفي الحكايات الصغيرة التي حاول هذا الكتاب أن يلتقطها،تجلّت تلك المعركة الهادئة بين الرغبة في الحب... والخوف من الفقد،بين الأدوار المفروضة... والروح التي تتوق إلى التحرر.

هذا الكتاب ليس حكمًا، بل مرآة.ليس نهاية، بل بداية أسئلة جديدة.أسئلة نحتاج أن نطرحها بصوت هادئ، في قلب الضجيج.

لعلنا، يومًا، نكتب فصلاً آخر...لا عنوان له سوى: "نحن".

رحلة الذات – حوار الوعي: ساجي ووصال

في ضاحية سيدي بوسعيد، حيث تتعانق زرقة السماء بزرقة الأبواب العتيقة، وعلى شرفة تُطل على خليج تونس، جلس ساجي ووصال، متقابلين، تشرب أنفاسهما من هواء البحر وهدوء المكان.

ساجي: (ينظرلهابنظرة فيها حنين) يا وصّال، تصوّري؟ ما كنتشنخمّماللّينوصلولهنا... مش للمكان، للمعنى هذا، للفهم هذا.

وصال: (تبتسم بعيونها قبلشفايفها) إيه،كأنوكلّ لحظة وجيعة كانت تنحي علينا شوية غبار من أرواحنا، باشنبانواكيف ماإحنا... صافيّين.

ساجي: كلّ ما فات،حسّيتوكي غربال... يطيّح الزايد ويخلّي المعدن الصحيح. كبرت يا وصّال... مش في العمر، في الرؤية.

وصال: تعرف شنوةتبدّل فيك؟ ماعادشتهرب من الألم. وليت تحكيمعاه،تسمعو،تفهمو. وهذا هو الوعي، يا ساجي... موش باش تبعد عن الوجيعة، أما باش تعرفعلاشوجعتك.

ساجي: (يضحك بصوت هادئ) كنت نردّ الفعل، موش نختار... أي حاجة تجرحني، نخليها تسوقني. اليوم، نعرف نوقّفونخمّم، نقول: "شنوةنحب نكون؟"

وصال:وإنتكي رجعت لنفسك، لقيتنينستناك... خاطر أنا زادة كنت نرجع لذاتي، نجمّع شتات الطفلة اللّي كنتها.

ساجي: (بعينين فيها امتنان) ماخيرشمننلقاوبعضنا بعد ما عرفنا رواحنا... قبل، كنّانتّكلواعلى بعضنا باشنداويوجراحنا، اليوم،نشاركواالشفاء.

وصال: نحب نقولك حاجة... ديما كنتنخمّمروحي "طيّبة" وقت نرضى ونسكت ونضحّي. أما الحقيقة، الطيبة تبدأ وقت تقول "لا" من غير ما تحسّ بالذنب.

ساجي: ووقتها، تحترم روحك... وأنا زادة، ولّيت نعرف نحب من غير ما نذوب. نحبك، أما نحب روحي زادة... وهذا توازن، موش أنانية

وصال: (تلمسإيدوبلُطف) تحسّها؟ الطمأنينة هاذي؟جايةمن الصدق... موشمعايا، مع نفسك.

ساجي: ماعادشنحب نهرب من التناقض، ولا نخاف من الفقد. كل خسارة كانت درس، وكل درس قرّبني أكثر للمعدن متاعي.

وصال: الوعي ما هوش ترف، هو حقّ... ومن حقّ كل روح تفهمعلاشجات،وعلاشتتألّم،وعلاشلازم تغفر... موش للآخرين، لنفسها.

ساجي: خاطر وقت توصل تحب روحك، توفى الحروب الداخلية... وتولي تعيش بسلام، موش كهدنة، أما كاختيار.

وصال: (تنظرلوبعينين مبلّلين) وسيدي بوسعيد تشهد،راهوفما حبّ ما يجيش قبل النضج... ومايتربطشإلا بالوعي.

ساجي: (يبتسم) والحمد لله، تقابلنا في العمق، موش في السطح... وبدينا الرحلة موش باشنوصلوا، أما باشنكمّلونكبروامع بعضنا.

صمت لحظة، والنسيميداعيبوجه وصال بلطف. موسيقى راي خفيفة تطلع من مقهى مشهورة بحكاياتها القديمة بين أزقّة سيدي بوسعيد البيضاء. "جاتنيبرية جات من عند حبيبتي بالذات"، تنفذ كنسمة ذكرى في القلب. طفل صغير يركض في الممرّ الحجري، يقطف وردة ياسمين من سور، ويقدّمها لامرأة مسنّة تجلس عند الباب.

وصال: (بصوت منخفض، كأنها تحكي لنفسها)شوف... حتى الطفل يعرف يعطي بدون شروط.كأنوالوعي يسكن في البراءة زادة.

ساجي: وإحنا، كلّمانفيقواأكثر،نرجعواأقرب لطفولتنا... موش في السذاجة، في النقاء.

وصال: (تضحك بلطف) النقاء... الكلمة اللي كنّانظنّوهاتنتهي مع الخيبات، وطلعت تبدأ بعدهم.

ساجي: وهاك البحر قدّامنا، ما تعبش من الموج... كل نهار يرجع، كل مرة يحكي قصة جديدة.

وصال: (تضع رأسها على كتفه)نحكيوهامع بعضنا، الحكاية الجديدة... وكيما البحر،نكمّلونرجعوالبعضنا، كل مرّة بوعي أعمق.

خاتمة الكتاب

في النهاية، تبقى العلاقة بين الرجل والمرأة التونسيين مرآةً حية لواقع مجتمعنا. ففي كل حب وصراع، نجد أن هناك أبعادًا تاريخية واجتماعية تسهم في تشكيل هذه العلاقة. ليس الرجل ولا المرأة مسؤولين بشكل كامل عن هذا الصراع، بل هناك دور للنظام الاجتماعي والسياسي الذي فرض معاييرقد تكون أحيانًا متناقضة مع طبيعة التغيير الذي يشهده المجتمع. لكن الطريق إلى الشفاء والتوازن يتطلب أكثر من مجرد الأماني. يتطلب الشجاعة لمواجهة التحديات، والقدرة على الفهم المتبادل، على الصعيدين الشخصي والجماعي. لعلنا في نهاية المطاف، نجد سبيلاً نحو الرجولة والأنوثة الإيجابية التي تساهم في بناء مجتمع أكثر توازنًا وعدالة.

العودة إلى الفهرس ⬆

العودة إلى الفهرس ⬆

خاتمة الكتاب

في النهاية، تبقى العلاقة بين الرجل والمرأة التونسيين مرآةً حية لواقع مجتمعنا. ففي كل حب وصراع، نجد أن هناك أبعادًا تاريخية واجتماعية تسهم في تشكيل هذه العلاقة. ليس الرجل ولا المرأة مسؤولين بشكل كامل عن هذا الصراع، بل هناك دور للنظام الاجتماعي والسياسي الذي فرض معاييرقد تكون أحيانًا متناقضة مع طبيعة التغيير الذي يشهده المجتمع.

لكن الطريق إلى الشفاء والتوازن يتطلب أكثر من مجرد الأماني. يتطلب الشجاعة لمواجهة التحديات، والقدرة على الفهم المتبادل، على الصعيدين الشخصي والجماعي. لعلنا في نهاية المطاف، نجد سبيلاً نحو الرجولة والأنوثة الإيجابية التي تساهم في بناء مجتمع أكثر توازنًا وعدالة.

العودة إلى الفهرس ⬆